المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 21 العدد 02 السنة 2025 ص ص 757-778
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

The Conflict over public space monopoly in the Algerian city A field study of social neighborhoods' murals

الصراع حول احتكار الفضاء العمومي بالمدينة الجزائرية دراسة ميدانية للكتابات الجدارية بالأحياء الاجتماعية

رضوان بولعراف [1]، حفيظة ضربان [2]
[1] جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله redouane.boulaaraf@univ-alger2.dz
[2] جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله hafidha.dorbane@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/08 **تاريخ القبول:** 2025/12/26 **تاريخ النشر:** 2025/12/30

Abstract:

As a continuation of the scientific accumulation produced about murals in Algeria, whether as a type of "marginal literature" and violence against authority or rejection of social reality; we aim through this study to shed light on social neighborhoods walls as a public space, as they bring together residents from different neighborhoods, each with its own social and cultural background. In addition, to identify the manner in which the conflict over this space appears among the resident, relying on survey and the qualitative approach and both content analysis and interview techniques.

The study concluded that murals have different aspects, cultural, political, artistic, communicative, and commercial, as well as functions such as venturing and creating new social ties that contribute to resolve the conflict over public space monopoly.

المؤلف المرسل: رضوان بولعراف
البريد الالكتروني: redouane.boulaaraf@univ-alger2.dz

Keywords: Murals; Public Space; Conflict; Algerian City; Social Neighborhoods.

الملخص:

مواصلة للتراكم العلمي المُنتج حول الكتابات الجدارية في الجزائر، خاصة التي أرّخت لها كنوع من أنواع "أدب الهامش" والعنف ضد السلطة أو رفض الواقع الاجتماعي، نهدف من خلال دراستنا الحالية إلى تسليط الضوء على جدران الأحياء الاجتماعية باعتبارها فضاءً عموميا، وذلك لما تحمله من خصوصيات أهمها أنها جامعة لساكنين من أحياء مختلفة لكل منها خلفيته الاجتماعية والثقافية، وذلك من أجل محاولة الكشف عن الاتجاه العام لمحتواها، والكيفية التي يتمظهر من خلالها الصراع حول هذا الفضاء بين محدثي الإسكان، معتمدين على المنهج المسحي والكيفي وتقنيتي تحليل المضمون والمقابلة.

وقد انتهت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن للكتابات الجدارية أبعاد مختلفة؛ ثقافية؛ سياسية؛ فنية؛ اتصالية وتجارية، إضافة إلى وظائف كالتنفيس وخلق روابط اجتماعية جديدة تساهم في حسم الصراع حول احتكار الفضاء العمومي.

الكلمات المفتاحية: الكتابات الجدارية؛ الفضاء العمومي؛ الصراع؛ المدينة الجزائرية؛ الأحياء الاجتماعية.

1. مقدمة:

تأتي هذه الدراسة كنتيجة لملاحظتين من واقع المدينة الجزائرية، أولها استغلال الجدران كأفضية عمومية للكتابات الجدارية، وثانيها تضمن بعض تلك الكتابات لمؤشرات صراع داخل المجتمع أو تعبيرها على مصالح وقيم اجتماعية متصارعة، خاصة منها الأحياء غير المتجانسة سكّانيا على غرار الأحياء الاجتماعية.

وبتعميق الملاحظة أكثر وإضفاء الطابع السوسيولوجي عليها، نجدها أنها ظاهرة ضاربة في القدم، إذ تعد الكتابات الجدارية في الجزائر من أقدم سُبل

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

التدوين وتوصيف الواقع المعيش وتأريخه في شكل كلمات أو أشكال أو رموز وشيفرات، من الكتابة على الكهوف والصخور في كهوف وصخور طاسيلي، التي تشكل مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر، إلى النقوش على أرضيات وجُدُر المدن الرومانية، ومنها إلى "كتّاب الجدران" الذين عبّروا عن مقاومتهم للاستعمار الفرنسي إبانه، جداريات "العشرية" التي وثقت بدورها لمرحلة تاريخية مهمة، وصولا إلى كتابات الجدران في الألفية الجديدة وما زامنها من أحداث سياسية واجتماعية من بدايتها إلى نهاية عقديها الأولين بحراك فيفري 2019 ؛الذي اعتبرت فيه الجداريات امتدادا للمظاهرات، لذلك نهدف من خلال دراستنا الحالية إلى تسليط الضوء على جدران الأحياء الاجتماعية باعتبارها فضاءً عموميا.

لطالما كانت الرسومات والكتابات الجدارية شكلا من أشكال نقل الرسائل المختلفة، وهو شكل يراهن على الطابع الفني للرسائل وديمومة عرضها النسبية؛ ما من شأنه ترسيخها في الأذهان، سواء من أكثرها بساطة كتلك العابرة أو عبارات الخواطر والاعترافات إلى أكثرها تعقيدا كالجداريات المتضمنة للصراعات، الأخيرة التي كانت موضوعا لدراسات عديدة بحثت في الكيفية التي يمكن بها اعتبار الجداريات "فنّا للمقاومة"، إذ تتضمن ما يشبه الحوارات بين الجهات الفاعلة في الصراع حول موضوع ما، إذ يمكننا وصف الجداريات هنا بأنها "عملية بناءة توضح الاستمرارية والتغيير؛ وفعل موجه نحو متخيل للمجتمعات المختلفة"[1].

عندما نتناول مفهوم الفضاء العمومي فإننا لا نقصره بالضرورة في كونه معطى إمبريقي، بل كمعطى رمزي في آن واحد، فهو من جهة يعبر عن فضاء وحيّز محمّل بالظواهر الاجتماعية؛ ذلك أنه "يجسد مساحة التدافع البين فردي"[2]، إضافة إلى الموضوع الذي يشغل ذلك الحيز، فيكون "ماديا مثل مؤسسة، وقد يكون معنويا مثل قيمة، فهو ليس حيزا مكانيا أو جغرافيا فقط، بل يتضمن

محتويات وقيم ومعايير اجتماعية، سياسية، ثقافية، تجارية، إعلامية، دينية وأخلاقية"[3].

لذلك؛ فالدراسة الحالية تعتبر جدران الأحياء الاجتماعية فضاءات عمومية توثّق للتدافع (الصراع) بين قاطنيها، كما أن تلك التوثيقات (الجداريات) لا تخلو من قيم ومعايير اجتماعية، اقتصادية.. وغيرها، نفترض أنها ذات دلالة، والهدف منها حسم الصراع على احتكار تلك الفضاءات العمومية، وغيرها من الأبعاد والوظائف الكامنة في الجداريات، وسننطلق في معالجة موضوع الدراسة من تساؤلات تتمثل في:

- **أولا:** ما هي الخصوصية والأهمية التي تكتسي مفهومي الدراسة الأساسيين: الكتابات الجدارية والأحياء الاجتماعية.
- **ثانيا:** ما هي الأبعاد التي تتضمنها الكتابات الجدارية في الأحياء الاجتماعية؟
- **ثالثا:** ماهي الوظائف الاجتماعية التي تؤديها الكتابات الجدارية؟

2. الكتابات الجدارية والأحياء الاجتماعية:

في هذا الجزء من العمل، سنلجأ محاولةً لحصر الأدبيات المتعلقة بالموضوع إلى الإجابة على سؤالين: لماذا اخترنا الكتابات الجدارية كحامل للمحتوى المدروس؟ ولماذا اخترنا الأحياء الاجتماعية كسياق مكاني وفضاء عمومي للظاهرة المدروسة؟

1.2 لماذا الكتابات الجدارية؟

لأننا ننطلق في الدراسة الحالية من الافتراض بأنها كتابات تعكس بمضامينها الظروف الاجتماعية والثقافية للجزائري في مرحلة تاريخية معيّنة؛ فإذا أردنا أن نعرف واقع مدينة ما، موقف مواطنيها السياسي، حالتهم الاجتماعية، ناديهم الرّياضي المفضّل؛ يكفي النّظر بتمعّن إلى جدرانها، وقد تم التأريخ لهذه الكتابات ضمن التراكم العلمي المُنتج حولها في الجزائر، على أنها كنوع من أنواع

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

"أدب الهامش" والعنف ضد السلطة أو رفض الواقع الاجتماعي والصراع حوله، لذلك تعتبر فضاءً خصبا للدراسة السوسيولوجية إذ تمكّننا في البحث في ما هو خفيّ.

والكتابات الجدارية لديها لغتها الخاصة، وهي تستلزم استخدام رموز وشفرات تحمل المعاني التي يقصد أصحابها إيصالها، ذات الخلفيات الاجتماعية والثقافية؛ والتي تعبر عن شكل من أشكال التضامن بين كاتبيها ومؤيّديها وارتباطهم بالجماعة التي ينتمون إليه، وتتنوّع حسب وسائلها الفنية، الغرض منها، ومدى "مشروعية" إنجازها ضمن فضاء عمومي معيّن، وهي تعني باختصار "الكتابات والرسومات، على غرار تلك الساخرة، الساخطة أو السياسية، على الجدران أو الأبواب أو غيرها من الفضاءات العمومية"[4]، ومن أهمها:

- **الترذيذ Le Bombage:** أو الرسم بالبخاخات وهي قارورات دهن أو طلاء، ويقصد به الذي عادة ما يستعمل لمهاجمة شخصية اجتماعية أو سياسية، وكذا الفرق الرياضية، ويكون غير واضح في الغالب[5].
- **العلامات Le tag:** وتستعمل هذه الكلمة في نطاق جد ضيق، ويقصد بها التدوين البسيط للإمضاءات، وتتضمن لونًا واحدًا فقط غالب[6].
- **التصوير الجداري Fresco**: كلمة إيطالية تعني "رطب" تعبر عن "طرق التصوير على الذي يتم بالدهن أو الطلاء مع مضامين لغوية، يعتمد هذا النوع على الاستعمال الدقيق والموسع للألوان ويفضل تجسيده على الواجهات الملساء"[7]، كما أنها عبارة عن صورة تم رسمها يدويًا، مصحوبة بكلمات توضيحية، غالبًا ما تصل القطعة إلى مستوى من القبول العام لا تحققه معظم الرسومات على الجدران لأنه أكثر وضوحا واستقرارا وأكبر حجما.

أما عن الكتابات الجدارية في الجزائر فيمكننا تلخيص أهم محطاتها في:

- اتخذت الكتابات الجدارية في بداياتها طابعا رياضيا تبعا للتنافس الذي كان بين الأندية في عشرينيات القرن الماضي، والذي امتد إلى تنافس بين الأنصار في الشوارع والأحياء، حيث يخلد كل طرف النتائج التي حققها فريقه خاصة مع بروز" الأندية المسلمة" بداية بنادي "مولودية الجزائر"[8].

- حين بدأت الأحزاب الوطنية الجزائرية في الانتخابات البرلمانية المحلية التي كانت تنظمها سلطات الاحتلال، غدت الكتابة على الجدران وسيلة تعبئة شعبية إما للمشاركة في العملية الانتخابية أو لمقاطعتها، فاعتبر كتّاب الجدران بالنسبة للاحتلال "مخرّبين"، وهذا يمثل أحد أهم تصنيفات الكتابات الجدارية التي ترى فيها شكلا من أشكال أدب الهامش، وهو ذلك الأدب الذي ".. يقع بعيدا عن الرعاية والاحتضان بل ويجري العمل على نبذه واستبعاده من دائرة ضوء، وقد تسلط عليه الرقابة إذا ما بدا عليه أنه تجاوز الخطوط الحمراء المنبه عليها"[9].

- تزامنا مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 م انتشرت الكتابات في كل المدن التي أخذت طابعا تعبيريا عنها، وكذلك طابعا إعلاميا عن انطلاقها، فظهرت هذه الكتابات بعبارات عديدة منها اسم جبهة التحرير الوطني وكذلك "الجزائر مسلمة" كرد فعل على عبارة "الجزائر فرنسية" [10].

- وقد عادت الكتابات للبروز مع حراك فيفري 2019، وانتشرت معه متماشية مع أحداثه عبارات مثل: "جيش شعب خاوة خاوة" في إشارة إلى أهمية الوحدة الجزائرية، وشعار" 1971 تأميم المحروقات...و2019 تأميم المسروقات..."[11]، في إشارة إلى ضرورة تطبيق مطالب الحراك.

2.2 لماذا الأحياء الاجتماعية؟

تم اختيار الكتابات الجدارية في الأحياء الاجتماعية لما تحمله من خصوصيات أهمها أنها جامعة لساكنين من أحياء مختلفة لكل منها خلفيته الاجتماعية، وجغرافيته الثقافية، والحي الذي تم اختياره هو: حي 1600 مسكن

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

بمنطقة السبالة ببلدية درارية بالعاصمة الجزائرية، وهي منطقة تعرف بسكانها الفحصيين، قبل أن يتم ترحيل آخرين إليها من أحياء أخرى من الجزائر العاصمة، أهمها أحياء باب الواد، بيلكور، ديار السعادة، المدنية، التي يتميّز أفراد كل منها برابط اجتماعي قويّ مصدره الانتماء إلى الحيّ.

يعرف الحي محل دراستنا هه بالصراع داخله منذ إنشائه عام 2011، إذ يتصدر عناوين الأخبار بالصراعات الحاصلة فيه من قبيل "حفل زفاف يفجّر حرب عصابات في السبالة بالعاصمة"، فالحي بذلك درجتين من الصراع:

- ✓ **أولا:** بين "الأصليين" من الفحص وبين محدثي الإسكان،
- ✓ **ثانيا:** بين محدثي الإسكان الجدد من الأحياء المختلفة، وذات الخلفيات الاجتماعية المختلفة.

وعند مقابلتنا للسلطات المعنية، توصلنا إلى أن هذا الحي بالفعل يميّزه هذا النوع من الصراعات، فبين سنتي 2014 و2016، وبين سنتي 2020 و2022 تحصّلنا على الإحصائيات التالية:

الجدول 1: عدد الشجارات في الحي المدروس في الفترتين 2014 و2016، 2020 و2022.

الفترة	بين سنتي 2014 و		بين سنتي 2020	
أطراف	ال	المتوسط	العـ	المتوسط
شجار	2	08,66	07	02,33
شجار	7	26,33	44	14,66
المجمو	1	35	51	17

المصدر: مقابلة مع السلطات المعنية بالحي المدروس.

الجدول 2: طبيعة الشجارات في الحي المدروس في الفترتين 2014 و2016، 2020 و2022.

الفترة الزمنية	بين سنتي 2014 و 2016		بين سنتي 2020 و2022	
طبيعة الشجار	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
شجار داخل الحي	19	%73,07	06	%85,71
شجار مع	07	%26,92	01	%14,28
المجموع	26	%100	07	%100

المصدر: مقابلة مع السلطات المعنية بالحي المدروس.

الجدول 3: عدد الشجارات في الحي المدروس في الفترتين 2014 و2016، 2020 و2022.

الفترة	بين سنتي 2014 و 2016			بين سنتي 2020 و2022		
أطراف	أقل	أعلى قيمة	المتوسط	أقل	أعلى قيمة	المتوسط
شجار فردي	02 ساعات	72ساعة	5,61 ساعة	01 ساعات	05 ساعة	2,07 ساعة
شجار جماعي	ليس لدينا معطيات			ليس لدينا معطيات		

المصدر: مقابلة مع السلطات المعنية بالحي المدروس.

3. منهجية الدراسة:

1.3. منهج الدراسة:

المنهج هو "الطريق المؤدي إلى لكشف عن الحقيقة في اللوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة" [12]، كما أنه "المنطق الذي يحكم البحث ويوجهه إلى المبتغى عبر سلسلة من الطرق الذي ينبغي عل العقل أن يتبعها ليضل إلى الحقيقة، ثم بعد

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ذلك يضاف إليه ما تم تغذيته من الواقع والقوانين والمعطيات الخارجية" [13]، فهو يتأقلم مع طبيعة الموضوع المدروس وحدوده الزمانية والمكانية والموضوعية.

وقد سارت وفق منهجين اثنين أولهما أساسي وغالب والثاني فرعي ومساعد؛ إذ استخدمنا المنهج المسحي بغرض اكتشاف علاقات معينة لا يمكننا الوصول إليها بدون المسح كونه في أحد أشكاله استنطاق للمضامين، ويعرف بمسح المحتوى أو المسح التحليلي والتفسيري الذي يتبع مجموعة خطوات منهجية تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، من خلال الخطوتين الكمية العددية والكيفية النوعية والمنظم لسمات الظاهرة في هذا المحتوى، ذلك أن موضوع الدراسة يتركّز بالأساس في محتوى الكتابات الجدارية في الأحياء الاجتماعية.

كما تم ثانيا: استخدام منهج فرعي في إطار ما يسمح به علم الاجتماع من تعدد للمناهج وهو المنهج الكيفي، والغرض منه هنا هو تحديد الظواهر وفهمها عن طريق حصر معنى الأقوال التي يتم جمعها أو السلوكيات التي تمت ملاحظتها حول الظاهرة المدروسة.

2.3. أدوات الدراسة:

أما فيما يتعلق بتقنيات الدراسة، فتتمثل تقنية الدراسة الأساسية في تقنية تحليل المضمون، وهي عملية مسح شاملة أو عن طريق المعاينة لبعض مضامين تظهر أنها وافية لتحديد إشكالية وأهداف دراسته، والتي تشمل في دراستنا هذه الكتابات الجدارية في الحي المدروس وكتقنية مدعمة لها تم استخدام تقنية مقابلة البحث، وهي تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد الذين تم سحبهم بكيفية منعزلة، من أجل استجوابهم والقيام بسحب عينة كيفية بهدف التعرف بعمق على المستجوبين، وقد شملت عينة قصدية من

كل من رجال شرطة تدخلوا لفض الشجارات داخل الحي، إضافة إلى خمسة من فناني الغرافيتي من الحي ذاته؛ وقد تم تطبيق تقنية تحليل المضمون عبر خطواتها الرئيسية، كما يلي:

أ. **مجتمع البحث:** وهو "مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجري عليها البحث أو التقصي" [14]، يمثل الكتابات الحائطية بحي 1600 مسكن بدرارية.

ب. **عينة البحث:** وهي" مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين" [15]، وعن المعاينة في الدراسة الحالي، وللوصول إلى نتائج أفضل، ولقة عدد الرسومات الغرافيتية في الحي تم الاستغناء عن المعاينة وإجراء حصر شامل للرسومات، والتي بلغ عددها 105 رسما بمختلف أنواعه.

ج. **فئات التحليل:** هي الأركان التي يعتمدها الباحث في توزيع وحدات التحليل المتوصل إليها في المادة المدروسة وهذا بناء على ما تتحدد فيه من صفات أو تختلف فيه من خصائص، وتتمثل فئات التحليل في هذه الورقة في:

- **فئات الشكل**: وهي الفئات التي نتمكن من خلالها التوصل إلى الإجابة المباشرة عن السؤال: كيف قيل؟ فهي تختص بالجوانب الظاهرة للمحتوى المدروس.
  - ✓ **فئة وضوح المحتوى:** أي مدى وضوح المحتوى وعدم تعرضه للتشويه ومحاولة الإزالة، وتتضمن كلّا من: الرسومات المشوّهة=، الرسومات غير المشوّهة، فتشويهها من عدمه هو –كما نفترض - شكلٌ من أشكال الصراع.
  - ✓ **فئة حامل المحتوى:** ونقصد بهذه الفئة الكيفية التي يتم بها إجراء الرسوم والجداريات وتتضمن كلا من: الترذيذ، العلامات، اللوحات الفنية؛ ذلك أن لكل منها خصوصيتها ودلالتها ضمن استراتيجيات احتكار الفضاء العمومي.
- **فئات المضمون:** وهي الفئات التي تجيب بشكل مباشر على السؤال: ماذا قيل؟ فهي تبحث عن الجوانب الكامنة في المحتوى المدروس.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

- ✓ **فئة الهدف:** تعد من أهم الفئات التي تركز على مضمون المحتويات، وقد تم اختيارها لمحاولة معرفة الهدف من كل جدارية وتصنيف هذه الأخيرة حسب ما يلي: جداريات رياضية، تجارية، اتصالية، متنوّعة، وهي تصنيفات حددناها بالرجوع إلى الملاحظات الاستطلاعية لجداريات الحي المدروس.
- ✓ **فئة الموضوع:** بالتركيز على الجداريات الرياضية كنتيجة للفئة السابقة، تبحث هذه الفئة في أيّ الفرق الرياضية العاصمية احتكارات للجدران في الحي المدروس، وحسب الاستطلاع الأوّلي فإن الفرق هي: مولودية الجزائر، نادي شباب بلوزداد، اتحاد العاصمة، نصر حسين داي.

د. **وحدات التحليل:** أصغر عناصر عملية التحليل حسب نوع الفئات المختارة، وهي:

- **وحدة الرسم:** حيث تتم عملية إحصاء فئات الشكل بناء على كل رسم جداري.
- **وحدة الفكرة:** والتي تصل إلى المعنى الحقيقي للفئة ودقة، حيث يتم إحصاء فئات المضمون من خلال الفكرة التي يحملها كل رسم.

أما بخصوص مقابلة البحث، فقد تضمنت أسئلة مفتوحة حول الجداريات المرسومة وخلفياتها، وكذا حول الصراعات الدائرة في الحي على شكل شجارات فردية وجماعية وكذا أطرافها، موجهة لكل من السلطات المعنية وأبناء الحي المدروس، وذلك من خلال السؤال حول: طبيعتها، عددها، ومدتها، إذ استخدمنا ما تم إفادتنا به في تحليل نتائج التقنية الأولى وتدعيمها.

4. تحليل النتائج:

من خلال تتبعنا للرسومات الجدارية، لاحظنا وجود 136 رسمة منها 119 رسمة تحمل مضمونا معينا، أي بنسبة 87.50%، و17 رسمة من الرسومات العشوائية غير واضحة الدلالة أو لا يمكن الحكم عليها بنسبة 12.50%، ومن خلال تتبعنا للرسومات التي تحمل مضمون معين مقصود، تحصلنا على الجدول التالي:

الجدول 4: طبيعة الرسومات الجدارية

طبيعة الرسومات	العدد	النسبة المئوية
رسومات رياضية	105	%88,23
رسومات تجارية (إشهار)	03	%02,52
رسومات ذات طابع اتصالي	06	%05,22
رسومات سياسية	03	%02,52
رسومات متنوعة	02	%01,68
المجموع	119	%100

يوضح الجدول أعلاه طبيعة الرسومات الجدارية في الحي المدروس، ونلاحظ من خلاله أن 88.23% من الرسومات هي رسومات رياضية، في حين أن 05.52% و02.52% منها يحمل مضامين إعلانية واتصالية ورسومات تجارية على التوالي، من أجل سنركز في كل ما يلي من دراستنا على الرسومات الرياضية.

نلاحظ من خلال النسب أن أغلب الرسومات الحائطية مضمونها رياضي، ونريد بقولنا "رياضي" كرة القدم، كونها الرياضة الأكثر شعبية في الجزائر، وهو ما يوضح بجلاء الحضور الثقافي الذي يحظى به تشجيع ومناصرة فرق كرة القدم لدى فئة الشباب من سكان تلك الأحياء.

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 21 العدد 02 السنة 2025 ص ص 757-778
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

الجدول 5: نوع الرسومات الجدارية

نوع الرسومات	مشوهة	غير مشوهة	النسبة المئوية
رسومات رياضية	26 %56,52	20 %43,47	46 %100
رسم بالبخاخات	18 %46,15	21 %53,84	39 %100
رسم توقيع لشعار "الأولتراس" أو النادي	02 %10	18 %90	20 %100
لوحات فنية مكتملة	02 %10	18 %90	20 %100
المجموع	46 %43,80	59 %56,19	105 %100

من خلال تتبعنا للرسومات الرياضية، لاحظنا أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، أولا: الرسومات التي تستعمل فيها البخاخات الملونة والتي بلغ عددها 46 رسم، تليها الرسومات المسماة بالتاق tag والتي تعتبر علامة للنادي أو شعارا لرابطة التشجيع (UALTRAS)، والتي بلغ عددها 39 رسما، بينما نجد في الأخير اللوحات الفنية المسماة "بالغرافيتي" التي وصل عددها إلى 20 رسما. لكن لاحظنا أيضا أن أغلب تلك الرسومات من النوعين الأول والثاني مشوهة أو مطموسة عمدا، حيث بلغ عدد رسومات البخاخات المشوهة 26 من أصل 46 رسما، وبلغ عدد رسومات التاق المشوهة 18 من أصل 39 رسمة.

ومن خلال المقابلات التي أجريناها مع أبناء الحي، حول أسباب تشويه تلك الرسومات أجاب أحد المستجوبين بقوله "لي حب يرسم يرسم في حومتوا" وأجاب أخر "مكاش اللي ادور هنا" أي (ليس هناك أحد سوانا) وكانت كل الإجابات على هذا النحو تقريبا، ترفض أي رسمة لا تمثل الفريق الذي يشجعه أبناء الحي

أو أبناء العمارة أو أبناء جهة من الحي، وبالتالي يلجؤون إلى تشويه وطمس كل الرسومات التي لا تمثل فريقهم الكروي، لكن في المقابل، يحاول أبناء الحي من مشجعي الفرق الأخرى في فرض منطقهم واستخدام أساليب القوة المتعددة (كالعنف اللفظي، الترهيب بكثرة العدد، التهديد أو العنف الجسدي غير المؤذي كالتدافع بالأيادي مع تجنب استخدام الأسلحة البيضاء ...) لفرض رسوماتهم من خلال احتكار أكبر قدر ممكن من المساحات داخل الفضاء العمومي.

وهكذا فإن عملية الرسم على الجدران تخضع لقوتين اثنتين، القوة الأولى هي الاستحواذ على الفضاء العمومي والقوة الثانية هي حماية تلك المساحات المستحوذ عليها.

وبالتالي فإن عملية الرسم على الجدران التي تبدوا في كثير من الأحيان عشوائية وغير منظمة، ما هي إلى نظام اجتماعي يخضع لشروط اجتماعية معقدة، يتداخل فيه امتلاك أساليب القوة لاحتكار الجدار الذي اختير للرسم عليه، وامتلاك آليات الرقابة والقدرة على حماية الرسومات مهما كان نوعها. خاصة وأن تشويه الرسم قد يعد في أغلب الأحيان من أعظم الاهانات التي يمكن للفرقة التشجيعية أن تتعرض لها، حيث عبر عنه المستجوبون "بالعرض"، أي جعلوا حماية الرسمة وحب الفريق كحماية نساء العائلة بكل ما يحمله مفهوم "العرض" من دلالات كبيرة جدا على المستوى الثقافي والاجتماعي الجزائري.

لهذا ولتجنب المساس بسمعة النادي وإهانته، يتدرج أعضاء تلك الفرق في الرسومات، فيبدأ أولا باستخدام البخاخات التي يكتب بها غالبا اسم النادي بطريقة شبه عشوائية، وبعدها إذا ما تمكنوا من احتكار الجدار ومن حماية الرسمة من التشويه ينتقلون إلى النوع الثاني من الرسومات والمسمى بالتاق، الذي يحمل رمزية أكبر وبالتالي يعد تشويهه أكثر خطورة وأكثر إهانة من الرسومات بالبخاخات الملونة.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ومن خلال إجابات المبحوثين استنتجنا أن التصارع حول الاستحواذ على تلك المساحات يأخذ شكلا ظرفيا حيث يزداد حدة أوقات المباريات المهمة أو مباريات الفرق العاصمية فيما بينها، بينما ينخفض أوقات السكون الكروي أو أوقات المنافسات غير المتعلقة بتلك النوادي الكروية.

ومن جهة أخرى استنتجنا من أجوبة المستجوبين أن الصراع الذي تطرقنا إليه أنفا لا تستخدم فيه إلا نادرا الأسلحة البيضاء أو شتى أنواع الألعاب النارية، وبالتالي فهو تصارع غير مؤذي في الغالب، قد يصل في كثير من الأحيان إلى الاتفاق بين الروابط والفرق التشجيعية فيما بينهم عن طريق الاستسلام أو عن طريق التفاوض حول استحواذ كل فرقة على جدار معين واستغلاله بما تراه مناسبا دون التعرض لأي محاولة تشويه أو طمس، بل قد تتعاون فيما بينها لحماية تلك الرسومات من تشويه الفرق التي لم تدخل في الاتفاق.

وعليه ينتقل إلى النوع الثالث من الرسومات والمسمى "بالغرافيتي"، التي تعتبر لوحات فنية تحمل الكثير من الجماليات والابداع وتمثل أيضا حالة من الاستقرار يمكن اعتبارها كنتيجة لتجارب الصراع السابقة وهذا ما عبر عليه الجدول رقم 5 من أن 90% من رسومات الغرافيتي غير مشوهة ولم تتعرض لأي محاولة طمس.

5. الخاتمة:

تنتهي الدراسة إلى أن المجتمع المدروس يستغل الصراع الظرفي والأقل خطورة الذي لا يهدد وجوده والمتمثل في الصراع من أجل احتكار الفضاء العمومي، ليساهم به في الخروج من حالة الصراع السابقة المبنية على الانتماء إلى الحي وكل ما ترتب عنها من مشاجرات عنيفة دام بعضها لأكثر من ثلاثة أيام متواصلة، وبالتالي فإن المجتمع خلق لنفسه آليات واستراتيجيات معقدة ساهمت في الانتقال بالصراع إلى حالة الاستقرار والتوازن.

كما نصل في نهاية الدراسة إلى نتائج، تجيب على التساؤلين الرئيسيين الذين انطلقنا منهما في معالجة موضوع هذه الورقة البحثية ويمكن تقديمهما كما يلي:

أ. الأبعاد التي تتضمنها الكتابات الجدارية في الأحياء الاجتماعية:
إضافة إلى البعد الرياضي للرسومات الجدارية، فإن لها أبعاد اجتماعية نذكر منها ما يلي:

- ✓ **بعد تاريخي وثقافي:** يلجا المشجعون في كثير من الأحيان إلى تمجيد فرقهم من خلال رسومات تمجد بطولات بعض منتسبي النادي خلال فترات تاريخية معينة (كعلي عمار –لابوانت- رحمه الله شهيد الثورة التحريرية الذي يعتبر لاعبا سابقا في صفوف مولودية الجزائر) أو إلى تمجيد تاريخ وعراقة بعض الأحياء العاصمية كحي القصبة أو حي محمد بلوزداد وغيره، بينما يحاول الآخرون تكذيب أو الإنقاص من تلك البطولات أو من عراقة تلك الأحياء وهو ما ينتج عنه فتح نقاشات تاريخية وثقافية شديدة التعقيد.
- ✓ **بعد اقتصادي:** لاحظنا استغلال الرسومات الجدارية من طرف بعض التجار والحرفيين للترويج لمنتجاتهم وخدماتهم كما رأينا في الجدول رقم 4 وهو ما يعتبر وسيلة مجانية للتسويق.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

- ✓ **بعد اتصالي:** تستعمل الرسومات الجدارية للتواصل بين أفراد الحي ولإيصال رسائل لا يمكن إيصالها بالطرق المباشرة.
- ✓ **بعد سياسي:** تستغل الرسومات الجدارية للتعبير عن المواقف السياسية الداخلية والخارجية أو لنصرة القضايا الإنسانية العادلة كما لاحظنا في إحدى الرسومات التي تمجد المقاومة الفلسطينية مثلا.

ب. **الوظائف الاجتماعية للكتابات الجدارية:** ومن أهم الوظائف الاجتماعية للكتابات الجدارية التي تم التوصل إليها:

- ✓ **وظيفة التنفيس:** تلعب الكتابات الجدارية دورا مهما في التنفيس، فيمكن اعتبارها بذلك "فضاءً ثالثا" وهو تسمية للأماكن العامة التي تحتوي مجموعات منتظمة، طوعية، ومتوقعة فيما وراء عوالم المنزل والعمل، فالفضاء الثالث هو فضاء عادة ما يكون عموميا ينفس فيه الأفراد عن أنفسهم، فهو المكان الذي يعالج فيه الناس أنفسهم من الضغط والشعور بالوحدة والغربة، أين يكون تجاهل ذلك يسيرا، كما ترى نظرية الفضاء الثالث.
- ✓ **خلق رابط اجتماعي جديد:** رأينا في الجدول رقم 1 كيف ساهم الرابط الاجتماعي المبني على الانتماء إلى الحي في تعزيز حدة التصارع والتصادم بين أفراد الاحياء المختلفة، وكيف ساهم مفهوم "وليد حومتي" الذي يحمل دلالات ثقافية كبيرة جدا في خلق نظام قوي من التضامن الآلي بحيث يعزز فكرة الدفاع عن "وليد الحومة" بكل شراسة وباستخدام كل الوسائل الممكنة، كالأسلحة البيضاء أو استخدام الألعاب النارية الخطيرة، لكن ساهمت الرسومات الجدارية في خلق رابط اجتماعي جديد لا يبنى على الانتماء إلى الحي وإنما يبنى على الانتماء إلى فريق كرة القدم، حيث نجد أفرادا من نفس الأسرة أو من نفس الحي أو من نفس العمارة يشجعون فرقا مختلفة.

وبالتالي فقد يكون المتخاصم هو الأخ أو ابن العم أو الجار أو الصديق الحميم وغيره وهو ما ساهم في خفض حدة التصادم والشجار، وذلك بتجنب "في أغلب الحالات" العنف المؤذي والخطير، ومن جهة أخرى فإنه خلق نظاما أخر من التضامن العضوي "الظرفي". والمبني على التعاون على الرسومات وحماية مصالح الفريق من طرف أفراد قد لا ينتمون أصلا لنفس الحي، وهو ما يساهم من جهة في التنفيس الاجتماعي كما رأينا في الفقرة أعلاه، ومن جهة أخرى ينتقل الصراع من صراع خطير مستمر إلى صراع ظرفي غير مؤذي يغلب عليه التشاحن الكروي لا غير، بل يصل في أغلب حالاته إلى الاتفاق بين الأطراف المتصارعة. وهو ما يتوافق مع المعطيات التي تحصلنا عليها من قسم الشرطة حول الشجارات بين سنتي 2020 و2022 (أنظر الجداول 1، 2 و3).

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

6. الهوامش:

[1] Sara Awad and others: The Street Art of Resistance**, in: Resistance in Everyday Life: Constructing Cultural Experiences**, Springer, 2017, Singapore, p 165.

[2] الطيب الحيدي: **الاعتراف وهوية الذات المواطنة في الفضاء العمومي المشترك**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، (2020, 01, 30)، ص 2، الرابط:

https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%A7 . .

[3] فلة بن غربية: في إشكالية إجرائية مفهوم الفضاء العمومي، في: **الفضاء العمومي ومواقع التواصل الاجتماعي: التشظي وإعادة قراءة المفهوم**، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، الجزائر، 2017، ص 8.

[4] Cambridge University Press: Graffiti, **Cambridge Dictionary**, (2024, 01, 21), URL: https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/graffiti.

[5] نورة عامر: **الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية – جامعة الشهيد حمة لخضر، المجلد. 8، العدد. 1، 2020، ص 85.

[6] المرجع نفسه، ص 85.

[7] حيدر علي: **تقنيات التصوير الجداري**، مجلة الأكاديمي، العدد. 15، سبتمبر 2019، الجزائر، ص 51.

[8] نورة عامر: مرجع سبق ذكره، ص 87.

[9] سناء عبد اللي: **الكتابات الجدارية من المركزية إلى الهامشية**، مجلة قراءات، المجلد. 11، 2018، ص 132.

[10] نورة عامر: مرجع سبق ذكره، ص ص 86-88.

[11] المرجع نفسه، ص ص 89 – 92.

[12] عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات: **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2009، ص 120.

[13] تمار يوسف: **مناهج وتقنيات البحث في الدراسات الإعلامية-الاتصالية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2017، ص 35.

[14] موريس أنجرس: **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ط 1، ص 298.

[15] المرجع نفسه، ص 301.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

7. قائمة المراجع:

- تمار يوسف، **مناهج وتقنيات البحث في الدراسات الإعلامية-الاتصالية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2017)، ص 35.
- حيدر علي، **تقنيات التصوير الجداري**، مجلة الأكاديمي، العدد 15، سبتمبر 2019، ص 51.
- سناء عبد اللي، **الكتابات الجدارية من المركزية إلى الهامشية**، مجلة قراءات، المجلد 11، 2018، ص 132.
- الطيب الحيدي، **الاعتراف وهوية الذات المواطنة في الفضاء العمومي المشترك**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث(30 ,01 ,2020)، ص 2، الرابط:
- https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%A7 . .
- عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009)، ص 120.
- فلة بن غربية. (2017). في إشكالية إجرائية مفهوم الفضاء العمومي، في: **الفضاء العمومي ومواقع التواصل الاجتماعي: التشظي وإعادة قراءة المفهوم**، الجزائر، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، ص 8.
- موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، (الجزائر: دار القصبة للنشر، ط1، 2004)، ص 298.

- نورة عامر، **الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية – جامعة الشهيد حمة لخضر، المجلد 8، العدد 1، 2020، ص 85.

- Cambridge University Press (2004), Graffiti, **Cambridge Dictionary**, (2024, 01, 21), URL: https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/graffiti.

- Sara Awad and others, The Street Art of Resistance, in Nadita Chaudhary, **Resistance in Everyday Life: Constructing Cultural Experiences**, Singapore, Springer, 2017, p 165.